محاكمة يسوع
(مرقس ١٤:٥٣-٧٢)

تأليف: جو شوبيرت

الأحداث التي وقعت قبل حوالي ألفين سنة في أورشليم، تبدو غريبة وبعيدة لكثير من الناس في عالمنا اليوم. ومع ذلك الأحداث التي تتجمع حول موت المسيح، هي الأحداث الأكثر أهمية في التاريخ البشري كله. كل شخص عاش في العالم قد تأثر إلى حد ما بهذه الأحداث العظيمة. إن كنا نؤمن بالأسفار المقدسة، فان حادثة الصليب هي بؤرة التاريخ كله. انها تجعلنا إذاً أن ندرس بكل حرص تلك الأحداث التي يدونها الكتاب المقدس المتزامنة مع موت ربنا.

ما فعل السنهدريم
(مر ١٤:٥٣-٥٩)

بعد ان قبض على يسوع في بستان جثسيماني، مضى به العسكر إلى قيافا رئيس الكهنة. يبدأ مرقس سجل هذا المشهد في الآية ٥٣، كما يلي:

> فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة. وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة، وكان جالساً بين الخدام يستدفئ عند النار (آيتي ٥٣ و ٥٤).

لاحظ وصف مرقس لهذا المشهد، كان مكان الاجتماع هو دار رئيس الكهنة نفسه. كان يسوع داخل الدار مع رؤساء الكهنة وأعضاء السنهدريم، المحكمة العليا عند اليهود. كان السنهدريم يتكون من سبعين عضوا. يتألف من قيافا كبير رؤساء الكهنة، وجميع رؤساء الكهنة الآخرين ومعلمي الشريعة والشيوخ. قد اجتمع أولئك الأعضاء في دار قيافا رئيس الكهنة. وضع يسوع في وسطهم، بينما جلس بطرس في الساحة الخارجية مع الحراس، حيث يمكنه ان يرى كل ما كان يحدث، جلس بطرس مع الحراس يدفئ نفسه في ليلة الربيع الباردة في أورشليم.

المحاكمة أمام رئيس الكهنة تضمنت خطوتين. في البداية: قدمت شهادة الشهود. تقرأ الآيات ٥٥-٥٦ كما يلي:

> وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه، فلم يجدوا. لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهاداتهم. ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين: «نحن سمعناه يقول: إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي، وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأيد». ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق.

هذه المحاكمة كانت سخرية واضحة، حيث كانت النتيجة مقررة قبل وقت طويل من بدء المحاكمة. يخبرنا مرقس بفظاظة بان السبب في المحاكمة هو ان رؤساء الكهنة كانوا يطلبون شهادة على يسوع لكي يقتلوه. كانت المحاكمة غير شرعية منذ البداية. في المقام الأول: انعقدت في الليل، وتنص شريعة اليهود على أن تكون كل المحاكمات أمام السنهدريم في وقت النهار. في المقام الثاني: انعقدت في مكان غير شرعي. تنص شريعة اليهود على ان

يجتمع السنهدريم في مكان اجتماع معين في إحدى غرف الهيكل نفسه. لم يكن هذا الاجتماع في الهيكل؛ بل كان في دار رئيس الكهنة نفسه. ثالثاً: كان محذورا على السنهدريم ان يصل إلى النطق بالحكم في يوم المحاكمة نفسه؛ ومع ذلك، وبهذه السرعة، تم النطق بالحكم في الوقت نفسه عند نهاية المحاكمة.

بغض النظر عن كل التشجيع على ارتكاب الجريمة، بما فيه شهادة الزور، لم تكن المحاكمة تمضي بصور جيدة بالنسبة لرؤساء الكهنة. يخبرنا مرقس بانه رغم ما قاموا به من شهادات زور على يسوع، لم تتفق شهاداتهم. كان التضارب واضحاً عندما يقول شاهد واحد القصة التي تناقض قصة شاهد آخر. كان هؤلاء أفضل شهود يمكن ان يشتروا بالمال، ومع ذلك كانت المحاكمة تتفكك. بدأ الكهنة يشعرون بعدم الارتياح والضجر.

أخيراً، يقول مرقس قام شهود من الذين اتفقوا بالتحيز. يخبرنا متى بانه كان هناك رجلان. في الآية ٥٨، يقول مرقس بانهم قالوا: «نحن سمعناه يقول: إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأياد وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد.» كانت هذه أقرب ما يتفق عليها أي من الشهود؛ وكانت هذه أقوى تهمة يمكن أن يقدموها ضد يسوع لأن فيها جزء من الحقيقة. في وقت مبكر من خدمة يسوع، عندما طهر الهيكل في المرة الأولى، سجل يوحنا بان يسوع كان قد قال لليهود: «أنقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه» (يو ٢:١٩). استمر يوحنا وبعد آيتين ليبين بان الهيكل الذي أشار إليه يسوع لم يكن هيكلا مصنوعا من الحجار والطوب الذي كان يرونه، بل هيكل جسده. كانت هذه إشارة مبكرة للقيامة، علاوة على ذلك، في تلك المناسبة لم يقل يسوع: «سأنقض هذا الهيكل»، كما اتهمه الشهود بانه قد قال. ما قاله هو: «أنقضوا هذا اليهكل وفي ثلاثة أيام أقيمه.» كان الشهود مخطئين، ومع ذلك، كانت هناك حقيقة جوهرية في ما قالوه.

كتب تنيسون ذات مرة بان: «الكذب الكُلي، يمكن أن يقابل الكذب ويحارب برمته، ولكن الكذب الذي جزءه حقيقة هو أصعب أمر يمكن محاربته.»

ماذا عمل قيافا
(مر ١٤:٦٠-٦٥)

كادت الشكاوي ضد يسوع تنهار. وأصبح الكهنة يشعرون بالاحباط لأنه في هذه اللحظة من المحاكمة، بدأ الأمر يتضح وكأنهم لن يتمكنوا من الوصول إلى قواعد شرعية للتعمد بقتل يسوع. جلسة الاستماع الأولية، استمرت طول الليل، ولم يأتي منها شيء. أخيراً تخلى قيافا الذي بدأ يشعر بعدم الراحة من جلوسه على كرسي القاضي عن دوره، وأخذ دور المدَّعي العام نفسه. وضع يسوع تحت القسم وطالَب بالإجابة. يقول مرقس: «فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلاً: أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيء» (آيتي ٦٠ و ٦١).

قبل مئات السنين، كان إشعياء النبي قد تنبأ عن هذا الحدث بعينه في سفر إشعياء ٥٣:٧، عندما قال: «ظُلِمَ، أما هو، فتذلل ولم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها، فلم يفتح فاه.» لم يحاول يسوع مهما كان ليدافع عن نفسه ضد أكذوبة أولئك الشهود. بقى صامتاً تماماً، كان يشهد لكل الحضور بان نوع التهم التي كانوا يلقونها عليه كانت كاذبة ولا أساس لها وملتوية ولا تستحق الإجابة عليها.

كان رئيس الكهنة منذهلا بسبب صمت يسوع. ومن ثم فعل شيء غير قانوني على الأطلاق. أجبر يسوع ليشهد ضد نفسه. في الآية ٦١ يقول مرقس: «فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك؟» كان هذا بالضبط السؤال الذي حاول الفريسيون أن يجبروا يسوع ليجيب عليه منذ شهور. رغم انه سئل بهذا السؤال مراراً وتكراراً بشكل أو بآخر، إلا انه كان يرفض الأجابة عليه على الدوام. الإجابة على ذلك السؤال قبل هذا الوقت سابقة لآوانها. وأما الآن فسيجيب عليه، وباعطاء اجابته كان يعلم بانه يعطي هذه المحكمة الإثبات الذي يريدونه لكي يدينوه

بالموت. في هذه المناسبة ما من شخص كان يتهم يسوع بانتهاك السبت كما فعلوا في وقت سابق. قد خسروا ذلك الجدل منذ وقت بعيد. لم يأتي أحد هنا بذلك الإنتقاد القديم بانه كان يطرد الشياطين بقوة رئيس الشياطين. كان قد تعامل مع تلك التهمة في وقت سابق. في هذا الوقت من المحاكمة، تركوا خلفهم التهمة التي أتوا بها عن تدمير وهدم الهيكل. يمكنهم أن يستخدموا تهمة واحدة فقط {الآن}، وأعطاهم يسوع إياها على التو. عندما سأل قيافا يسوع بالتحديد: «أأنت المسيح؟» أجاب يسوع ببساطة: «أنا هو!»

أضاف يسوع بضع كلمات قليلة تبدو بانها موجهة إلى رئيس الكهنة شخصياً. يقول مرقس: «أنا هو! وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء» (آية ٦٢). كان يسوع يشير إلى الدينونة الأخيرة، عندما يظهر كل الناس أمام كرسي الله لينالوا الحُكم على الطريقة التي كانوا يعيشون بها. كان يسوع يحول تفكير كل الحضور من المحكمة المتحيزة والفاسدة التي كانوا يتابعونها إلى محكمة الله العظيمة في السموات. أي أن يسوع كان يقول أساسا: «الآن أنت القاضي وأنا السجين. في يوم ما ليس بعيداً، ستكون أنت السجين وأنا القاضي.»

يستمر السجل في الآيات ٦٣-٦٥ ليقول:

> فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال: «ما حاجتنا بعد إلى شهود. قد سمعتم التجاديف، ما رأيكم؟» فالجمع حكموا عليه أنه مستوجب الموت. فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له: «تنبأ!» وكان الخدام يلطمونه.

مزق رئيس الكهنة ثيابه برياء عندما سمع يسوع يدعي بانه المسيا. مزق ثيابه غاضبا على تلك العبارة التي سمع يسوع ينطق بها. ولكن كل ما فعله كان نفاقا لأن هذه العبارة هي نفسها التي كان قيافا يريد أن يسمعها. كان يعلم بانه عندما يقول يسوع مثل تلك العبارة، يحتم مصيره. قام الكاهن بهذا العمل الريائي، أظهر غضباً زائفا وطالب النطق بالحكم. نطق السنهدريم بالحكم حالاً وأدانوا يسوع بالموت.

ومن ثم، حدث شيئا غريبا. يخبرنا مرقس بانه حالما جاز الحكم بالموت، اتضح كأن كل قوات التقييد التي كانت على هؤلاء الكنهة والشيوخ ومعلمي الشريعة قد حلت. ارتكبوا عملاً آخر غير شرعياً. بدأوا يصرفون غضبهم على يسوع، يصرفونه عليه في حقد وإساءة. بصقوا عليه، وكان ذلك منتهى الإساءة. ضربوه وغطوا وجهه ولكموه وقالوا: «تنبأ يا يسوع. قل لنا من الذي لطمك!» هكذا استهزؤا به وازدروا به وشتموه. مثل هذا الاستهزاء لا يمكن القيام به ولا في محكمة وثنية؛ مثل هذه المعاملة الخبيثة قد تكون لطخة فاضحة في سجل التقليد الوثني. فما أكثر فضاحتها في سجلات إسرائيل!

سبع مئة وخمسين سنة قبل وقوع هذا الحدث، كان إشعياء قد تكلم الكلمات التي كانت في فكر يسوع في تلك الليلة. في سفر إشعياء ٥٠:٦، قال النبي: «بذلت ظهري للضاربين وخديّ للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق.»

٣.مافعله بطرس (مر ١٤:٦٦-٧٢)

يختم مرقس الأصحاح ١٤ بأخذنا إلى بطرس عندما كان جالساً في الخارج. يبدأ في الآية ٦٦؛ حيث يقول:

> وبينما كان بطرس في الدار أسفل، جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة. فلما رأت بطرس يستدفيء، نظرت إليه وقالت: «وأنت كنت مع يسوع الناصري!» فأنكر قائلاً: «لست أدري ولا أفهم ما تقولين!» وخرج خارجاً إلى الدهليز. فصاح الديك. فرأته الجارية أيضاً، وابتدأت تقول للحاضرين: «إن هذا منهم!» فأنكر أيضاً. وبعد قليل أيضاً، قال الحاضرون لبطرس: «حقاً أنت منهم، لأنك جليلي أيضاً، ولغتك تشبه لغتهم.» فابتدأ يلعن ويحلف: «إني لا أعرف هذا الرجل الذي تقولون عنه.» وصاح الديك ثانية، فتذكر بطرس القول الذي قاله يسوع: «إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاثة مرات.» فلما تفكر به بكى.

أحياناً نقدم هذه القصة عن بطرس بطريقة تقلل من شأنه كثيراً. نتناسى عادة نشاطات بطرس في تلك الليلة. ليلة القبض على يسوع في البستان والمحاكمة أمام رئيس الكهنة كانت نشاطات شجاعة لا تذكر. فكر قليلاً بعملية القبض في بستان جثسيماني. عندما جاء الجمع ليلقوا القبض على يسوع، بطرس هو الذي أستل سيفه وكان يحاول القضاء على كل الجمع بنفسه من أجل ولاءه للرب. ونجح في تلك الليلة في جرح عبد رئيس الكهنة. لكان الاحساس العادي سيقول لبطرس: «من الأحسن ان لا تعرض نفسك بعد ما عملت ولأنهم سيبحثون عنك.» آخر مكان يتوقع الإنسان أن يذهب إليه بطرس هو بيت رئيس الكهنة بعد أن جرح عبد رئيس الكهنة. ولكن هذا هو المكان عينه الذي ذهب إليه بطرس. تبع يسوع ونظر في الخارج ليحاول أن يراقب ما كان يحدث بالداخل، معلناً مرة أخرى نوع الشجاعة. أراد أن يكون صادقاً ليسوع. ربما كان كل الرسل الآخرين قد مضوا. على الأقل بطرس هو الوحيد الذي تم ذكره في سجلات الإنجيل.

مشاكله في تلك الليلة بدأت مع هذه الشابة، جارية رئيس الكهنة. ربما سمحت له بالدخول من الباب فتذكرته وقالت: أنت واحد من الأتباع الناصريين، ألست منهم؟ بطرس وهو يحاول أن ينفي الصلة قال: «لست أدري ولا أفهم ما تقولين.» حاول أن يناقضها.

يمكننا التعاطف معه. ليس هذا من شأنها سواءكان بطرس تلميذ يسوع أم لا. كان غرض بطرس واضح، ليراقب الإجرآت دون أن يتم التعرف إليه، ولكنه تلاقى مع هذه الجارية المغرمة بحب الإستطلاع لتفشي لكل شخص بان هنا رجل من أتباع يسوع. كل ما أراد أن يفعله هو أن يسكتها، ومع ذلك، لم يكن السكوت الشيء الذي شاءت أن تفعله. لذا ترك مكان النار، وخرج إلى الدهليز الخارجي، ويبدو انه ظن بانه سوف لا يراه احداً بوضوح هناك،وعندما كان يتدفيء بجانب النار. ولكن حتى هناك اقتربت منه الفتاة المزعجة واستمرت تثير الموضوع، من أجل ازعاجه واحراجه. ثم التفتت الجارية إلى الذين حولها وقالت: «ان هذا الرجل واحد منهم.» إني متأكد ان بطرس كان سيخنقها لو أمسكها. عندما أعلن بطرس: «إني لست واحداً منهم»، حدث شيء آخر. سمعوا لهجته. لاحظوا بانه كان يتكلم كجليلي. كان للجليليون لهجة معينة يمكن كشفها بسهولة ومن غير قصد. كان بطرس مع تلك المجموعة في تلك الليلة كالبدوي في قلب العاصمة. عندما فتح بطرس فاه وأعلن ذلك، سمعوا لهجته. قال الناس: «انها على حق. لا بد وانك واحد منهم لأن طريقة كلامك تظهرك.» أنكر بطرس هذا بشدة. يقول مرقس انه لعن وحلف في المرة الثالثة.

يذكر مرقس في الآية الأخيرة من هذا الأصحاح: «وصاح الديك ثانية. فتذكر بطرس الكلام الذي قاله يسوع: 'إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات.' فلما فكر به، بكى.» الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى «بكى» هي كلمة ذات معنى قوي جداً. انها تصور بطرس يخرج إلى خارج البيت ويلقي نفسه على الأرض في مرارة شديدة ودموع الندامة على خديه عندما تذكر في قلبه وأدرك في روحه ما الذي فعله ليسوع. بالنسبة لي، أكثر شيء به رجاء هي دموع بطرس. لم يذرف رؤساء الكهنة أية دموع. ليس هناك إشارة بان يهوذا قد بكى على الاطلاق، رغم ان سجل الإنجيل يوضح بان اليأس والندامة تملكاه عند التفكير بما فعله. ولكن بطرس، عندما أنكر الرب، ألقى بنفسه على الأرض وبكى.

في هذا الحدث، يظهر درساً عن الاخفاق. ذلك الدرس هو ان الاخفاق لا يجب أن يكون نهاية القصة. كان هذا صحيحاً بالنسبة لبطرس. تحدثت دموع بطرس عن يوماً آخر لم يأتي بعد، عندما قواه الرب وجدده بعد تعلم درساً مراً ورزيناً الذي كان عليه ان يتعلمه في تلك الليلة. أذكر صباح القيامة، الصباح الذي فيه قابل يسوع النساء عند القبر! هل تذكر ماذا قال للنساء عندما لاحظن بان يسوع قد قام من القبر؟ قال: «لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه

كما قال لكم» (مر ١٦:٧). مازال هناك رجاء لبطرس.

بعد ما أنكر بطرس يسوع، اختفى عن المشهد. لا نعلم أي شيء عنه أكثر عما حدث له حتى ذلك الصباح عندما جاءت النساء بخبر القيامة السار. الفرق الوحيد بين انكار بطرس وعداوة الكهنة هي تلك الدموع التي ذرفها بطرس. تلك الدموع كانت تعني بان هناك حياة يمكن تجديدها، الاخفاق الذي يكمن أن يُنسى ويُغفر. الرجل الصالح ليس هو من لا يخطيء، وإنما الرجل الصالح هو الذي يتوب سريعاً عن خطيته ويطلب بداية جديدة.

كتب شاعر مجهول أبيات شعرية قصيرة والتي كنت قد قرأتها للمرة الأولى قبل بضع سنين. انها بسيطة جداً، ولكن الفكرة منها جميلة. عنوانها: «أرض البداية مرة أخرى.»

أتمنى لو يكون هناك مكان رائع الجمال
يسمى «أرض البداية الجديدة»
ندفن فيه أنانيتنا وغمنا وكل أخطائنا
يمكن أن تلقي مثل الرداءالبالي عند الباب
ولا يلبس ثانية أتمنى أن نأتي
إليها بدون وعي،
مثل الصياد الذي يجد الأثر المفقود
وآمل ان الذي سبب العمى لنا
قام بأعظم عمل ظلم على الاطلاق
من الممكن ان يكون عند البوابة

لننظر الزميل الذي يسره كثيراً تحيتنا.

كان ذلك الطريق بين بطرس ويسوع. أعطى يسوع بطرس الفرصة ليبدأ مرة أخرى، ولم يخيب بطرس آماله. كان حاضراً في يوم الخمسين، ذلك اليوم العظيم لميلاد الكنيسة عندما بشر الإنجيل بملئه للمرة الأولى. بشر بالرسالة التي أقنعت الناس في ذلك اليوم ليكونوا أعضاء في ملكوت الله بالمعمودية في المسيح. يظهر اسم بطرس على التوالي على كل صفحة من سفر أعمال الرسل كما يحدث التوسع السريع للكنيسة في أيامها الأولى خلال السنوات القليلة من وجودها. كان بطرس أيضاً مؤلف اثنين من أسفار العهد الجديد. تعلم بطرس درساً عظيماً من اخفاقه تلك الليلة، والدرس الذي تعلمه أعده وجهزه ليكن واحدا من أعظم خدام الله لبقية حياته.

الخلاصة

ما حدث لبطرس قد يحدث لكل منا. قد أخفقنا كثيراً وتعثرنا. قد خيبنا أمال ربنا وأخطأنا إليه عدة مرات وفي عدة مناسبات أكثر مما قد نتذكر، ولكن إن كنا ندرك هذه الخطايا، ونتوب عنها ونطلب من الرب بداية جديدة، قد تُغفر لنا.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧